

أحاديث أم المؤمنين عائشة

[393] وأن هذه سنة الله في خلقه، (ولن تجد لسنة الله تبديلاً) (6). كل هذا يدلنا دلالة قاطعة على أن جلال الإسلام في مبادئه ومثله وليس في أشخاصه. وأن جلاله الإسلام لا يتأثر بالأشخاص مهما واطأوا على تأييده أو تواطأوا على هدمه. أقول: ولو أن أهل الأرض جميعاً ومثلهم معهم أجمعوا على حرب الإسلام ومناصبته العداء ما نقصوه شيئاً من جلاله، ولو أن أهل الأرض جميعاً ومثلهم معهم اعتنقوا مبادئه ما زادوه جلالاً على جلاله. فسر هذا الإسلام في مبادئه المثالية، وسر هذه المبادئ مشخص في ذات المبادئ نفسها وليس في الأشخاص. وهذه لفظة لا يدركها إلا الراسخون في العلم. ومن ثم فإنه لا يضير الإسلام بحال من الأحوال أن يعرض الصحابة للنقد، وأن يتناول الباحثون أقوالهم وسير حياتهم وسلوكهم بالتنفيذ والتحليل. بل إن الإسلام الذي وضع مبادئ العدالة في الأحكام ومبادئ المساواة بين الأشخاص يبيح ذلك النقد وذلك التحليل، بل يحث عليه ويأمر به مادام ذلك النقد قصد به السعي وراء الحقيقة والدعوة إلى الطريق السوي. وما لنا نذهب بعيداً عن هذا الذي نقصد إليه ونتوخاه ! وقد رسم لنا المصلح الأكبر محمد عليه السلام هذا المنهاج العادل في الحكم على الناس جميعاً، حين حثنا بطريق مباشر وغير مباشر [على] أن نستمسك بكلمة الحق لذاتها دون مراعاة للأشخاص، وأن ننصر الحق وإن كان في جانب الضعيف الحقير، وأن نكيد للباطل وإن كان في جانب القوي العظيم، وأن لا نفرق بين الشريف والوضيع في تنفيذ حدود الله تعالى؛ وقد جاء في الأحاديث الصحيحة أن أسامة بن زيد وهو حب رسول الله وابن حبه استشفع عنده في امرأة من أشرف قريش سرقت، ولكن المصلح الأكبر أبي أن يعطل حكم الله فيها، وأرسل قالتها المشهورة الخالدة:

(6) سورة الأحزاب الآية 62.